العدد (4074) السنة الخامسة عشرة - الثلاثاء (28) تشرين الثاني 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

انثربولوجيا الغناء والرقص

كان الفجر الى وقت قريب يطوفون القرى ويقدمون أغانيهم مع عزف الربابة المصنعة محلياً ، أما النسوة منهم فانهن يقدمن حفلات مسائية يرتادها شباب ورجال القرية وما يجاورها . هذا تقليد شهير ومعروف . ويتوقف بقاء الفريق الغجري على ما يعطى لهم من مواد عينية ومبالغ مالية بسيطة ، وكان رجال الإقطاع هم الأكثر احتفاء بهم وإكراما لهم . لذا تميزت الحياة الريفية بهذا المعلم الشعبي البسيط والذي يتضاعف كثيراً في المناسبات الخاصة الدينية كالأعياد أو حفلات الأعراس . ولم يتوقف الأمر على الريف ، بل ابتدأ الرجال يطوفون المحلات في مركز المدينة .

ناجح المعموري

ويبدو بأن هذه الفعاليات ليست حديثة ، بل ذات جذور تاريخية قديمة وقد أشار "ادوارد كيرا" في كتابه المهم " كتبوا على الطين " نعرف حقاً الى متى ظل المنشدون المداحون ينتقلون من بيت الى بيت أخر ينشدون الأشعار والمدائح ويسلون الناس لقاء العطايا والمنح التي يغدقونها عليهم .ولكننا نعرف في الأقل أن أسماء بعضهم ذكرت على الرقم الطينية التي لولاها لما علمنا عنهم شيئاً . فقد دوّنَ الكاتب في أسفل بعض هذه الأغاني وفي نهاية الرقيم جملة هكذا : سمعت من فم السيد فلان بن فلان . ومن هنا يتضح لنا كيف أن القصة نفسها رويت في رقم مختلفة وبأوجه متباينة ، وذلك ناتج عن قوة الخيال العظيمة للمنشد الذي استطاع أن يضفي على موضوعها القديم أفكاراً جديدة .

خضعت القصص لتدوينات جديدة ، لأنها ظلت حاضرة في التداول الشفوي ، وهذا هو السبب المهم في وجود فراغات أو مفردات مختلفة عن نص دوِّن سابقاً ويعود ذلك الى الذاكرة ونوعية التداول الشفوي . وأشار "ادوارد كيرا" الى تجارب تفيد معرفة التغيرات التي تحدث في الأغاني أو النصوص الإنشادية .

الممثل الهزلي في أيامنا هذه يستطيع دائماً إن كان ذكياً أن يغير نكاته بعض التغيير على وفق المكان الذي يمثل فيه . ولحسن الحظ حصلنا مرة أخرى على نسخ في مدن مختلفة لأناشيد ومزامير قد غناها منشدون مختلفون ويتوقف علينا نحن أن نقرر أي هذه المزامير والآداب أصلية وعلى أي منها طرأ التغيير أما الأدب الديني ، فليست له خصائص مميزة يستدل بها على الزمن ولاسيما انه لا توجد فواصل واضحة المعالم بين مختلف الأساليب للنصوص ، فأن مزموراً من المزامير ينشد في بعض المقاطع بنغم موسيقى ثم يهبط نغمة الى نغمة تسير على وتيرة واحدة من الابتهالات أو أغنية تنشد في تمجيد إله متعدد أعماله ثم تمتزج بالأساطير والقصص على خلق العالم وتكوينه / ن. م/ص١٣٤//

لأن الشعر إيقاع ، استولد الغناء ، ولا يكون الشعر شعراً بمعزل عن الغناء ، والموسيقى أصلا حاضرة ، لأن الكلام أنغام ووجودهما معاً يفضي للغناء ، الذي يستدعي بالضرورة من خلال الطقوس للرقص ، لأن الطقوس العديدة ، المتنوعة لا يكون حضورها مهيمناً إذا لم يكن الرقص متمركزاً فيها ، لأنه ينظم حضور الجماعة ويمنح وجودهم / كينونتهم قيمة آدمية متسامية . وهذا دائماً ما يتضح بواسطة التشارك والتواجد ضمن محيط مدور ، يمنح الموجود قيمته الروحية المعبر عنها ، من خلال الشعر والغناء والرقص . حيث يتحول الطقس الى فعالية دينية متسامية ، تذهب باتجاه وظيفتها الميتافيزيقية ، حتى تمنح الكائن ما هو بحاجة له من أمان واستقرار روحي ، وتعزز وجوده لحظة التشارك الطقسي مع الآخر ، الذي يفضي نحو الثقافة والميثولوجيا بعدما تبدأ لحظة جديدة وعتبات الحضارة الإنسانية ، حيث تبدأ لحظة تفكك اللغة عن الفن والأسطورة وهي عتبة حاسمة في التطور التاريخي ، وقد رسمت حدودها الواضحة بين مكوناتها الثلاثة التي أشرنا لها .

وأجد من الضروري جدا المرور بالعالم يونغ وما قاله حول أفلاطون بوصفه " قوال أساطير كبير " حيث ابتدأت الفضاء الثقافي والديني : لا تختلف السجية البدائية ، الأساطير بل تعيشها ، فالأساطير هي في الأساس رؤى النفس ما قبل الواعية ، هي تأكيدات إرادية بخصوص أمور نفسانية لاواعية ، وليست أقل من مجازات أحداث نفسانية . وكان من الممكن لهذه المجازات أن تكون ألعاباً تافهة يمارسها ذكاء غير علمي ، لكن الأساطير تتخذ معنى حياتياً ، إذا أنها لا تقدم تصورات وحسب ، ولكنها هي نفسها أيضا الحياة النفسانية للقبيلة البدائية ، تلك القبيلة التي قد تتهاوى وتختفي على الفور أن هي فقدت تراث أجدادها الأسطوري ، تماماً مثل إنسان يفقد روحه أن ميثولوجيا قبيلة ما هي معتقدها الحي ، الذي يعني فقدانه . دائماً وأينما كان وحتى لدى الإنسان المتحضر . كارثة معنوية . لكن المعتقد يمثل علاقة حية مع الأنشطة النفسانية غير المرتبطة بالوعي ، والتي تحدث في مجال يتجاوز هذا الوعي ، في غياهب الكواليس النفسانية / مارسيل ذيتيان / اختلاف الميثولوجيا / ص١٩//

نحن لا نستطيع اقتراح قراءة أو تقديم توصيف ، حول ظاهرة دينية ، إذا لم نضع بالاعتبار العتبة البدئية ، أو لحظة الأصل الأول ، الذي تهيكلت عليه وحوله ، كل العناصر الميثولوجيا والتي كانت الأسطورة أحدى مكوناتها ، وهي ذات حضور مهيمن وقوة جوهرية في رسم الإطار الثقافي والديني المبكر .

الغناء والرقص مكون واحد . لكنه جوهري ويمثل قلب الدين وروحه ، لذا نجدهما يتكرران دائماً وأبداً ، ويكاد هذا الطقس المتكرر ، أن يحوز على جوهر الدين البدائي وما بعده ، وهذا الأنموذج الطقسي . ينطوي على عقائد وأساطير . وحصراً الخاصة بالحلم النفساني ، ولابد من إشارة الى أن الأسطورة / الحلم كلاهما ، يوحدان بين الكائن ومحيطه ، من خلال قوة الدين وحيويات مزاولاته اليومية . التي تكاد تكوّن روحه العميقة التي لا يدركها الإنسان ، بسبب حضورها المهيمن من خلال رموزه ، علاماته ، أشاراته .

إن الغناء والرقص من مكونات الطقوس المؤسسة لروح الدين العميقة الكامنة ، والطافية على السطح . وما يعبر عن تسامي الدين وطاقته الروحية الخلاقة هو المخفي . أكثر بكثير مما هو ظاهر ومعروف . لأن الكامن هو ممتلك الأسرار وكما قال ليفي شتراوس أردنا الإحاطة بالمواصفات الخاصة بالفكر الأسطوري ، علينا التسليم إذاً بأن الأسطورة تتموضع في اللغة وخارجها معاً وهذه الصعوبة الجديدة ليست غريبة عن عالم اللسانيات ، إلا تشتمل اللغة عينها على مستويات مختلفة ؟ عندما فرق " وسوسور " بين اللسان والكلام .

والمقصود باللغة التي تتموضع فيها الأسطورة ، هي اللسان الذي يشكل الخطاب الميثولوجي . أما ما يعنيه شتراوس بالموجود خارجها ، فهو كل ما يتكون في المحيط ، والفضاء من عقائد / طقوس / أساطير وهي كثيرة جداً . ولا يمكن تأطيرها والحد منها بأي شكل من الأشكال ، لأن مكونات الدين هوائية ، بمعنى استحالة السيطرة عليها ، لها حرية عبور الجغرافيات وتعيش وتنمو وتكبر جداً .

ونستطيع أن نتعامل مع الغناء والرقص بوصفهما جزءاً من الشبكة الرمزية المكونة للأسطورة وتتسع هذه الشبكة وتتضح لترسم عديداً من الأطر أو النماذج للميثولوجيا التي هي الفضاء الأكبر جداً للدين . ولابد من التذكير بما قاله الانثربولوجي جلبرت دوران في كتابه الموسوعي " الانثربولوجيا / رموزها / أساطيرها / أنساقها ص١٧" نعني بالأسطورة ، منظومة دينامية من الرموز والنماذج البدئية والأنساق المنظومة ، بدائية ، تنمو . تحت ضغط نسق معين . الى التشكل ضمن قصة الأسطورة هي في البداية ترسيم مواقف عقلانية .لكونها تستخدم تسلسل الخطاب الذي تتحول فيه الرموز ، الى كلمات والنماذج الى أفكار فالأفكار ، هي عملية إيغال في نسق أم مجموعة أنساق : كما أن النموذج البدئي يكمن خلف الفكرة ، وكما أن الرمز يولد الاسم ، يمكننا القول إن الأسطورة ترفد المعتقد الديني أو المنظومة الفلسفية أور مثلما يقول بديهية . القصة التاريخية أو الخرافية .

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

مفهوم "قوّة العادة" السوسيولوجيّ في الحقل الثقافيّ

نشهد الآن جميعاً انبثاق أجيال أدبية جديدة، في الرواية والشعر، والكتابة السريعة والساخرة التي تَشْغَل في وسائط التواصل الاجتماعي فضاءً واسعاً. لكن أجيال الثقافة العربية تتحرك في سياق يبدو وكأنه استقرٍ على خبرات ثقافية ومعايير وأخلاقيات لا يجوز الخروج عنها، إلا قليلاً وباحتراس. جميع اختراقات الكتابة في "السوسيل ميديا"، صوتها العالي، جرأتها، سعيها لتحطيم التابو الثقافي، تبدو، إلا في حالات أصيلة نادرة، شكلانية، وتتراجع على الفور إلى المربّع الأول الكريه، حالما يتعلق الأمر باختراق حقيقيّ للمعايير والأعراف المستقرّة. بعض الأعراف الثقافية وممثليها من طينة مريبة، كما يعرف مثقفون محترمون حسنو الاطلاع. الأمر أكثر وضوحاً في الشأن السياسيّ الذي لا تفصله، في الأدبيات والممارسات، مساحة مهمة عن أدبيات الشأن الثقافي. براهين الحقل السياسيّ تعزز حقيقة الحقل الثقافيّ الذي يشغل بالنا.

"قوّة العادة" مفهوم سوسيولوجيّ قد يفسّر البطء الشديد في قبول الأصوات الجديدة القلقة، ويؤوِّل خير تأويل طبيعة الخبرات الثقافية المستقرّة التي يصعب مساجلتها إلا بثمن باهظ. من الصعب مثلاً رفض صوت شعريّ او روائيّ ثابت، أو الشك بطبيعة شعريته – نثريته، أو الريبة من السياق الذي طلع فيه. قوّة العادة هنا تمشي بالتوازي مع سعادة القبول بالإجماع. لم يبرهن الإجماع الأدبيّ على المدى الطويل على صوابيته، مثلما لم يبرهن، بالضرورة، الانشقاق عن الخبرة الثقافية المستقرة على عدمية أو خوائه الإبداعيّ.

ثمة، في ثقافة العرب، خبرة ثقافية تستقرّ على (زمن) قريب أو بعيد بعينه، برهن في لحظة ما على تألق وفاعلية. وتتشبث بمقادير ومعايير ذلك الزمن، رغم "كمية المتغيرات" وجذريتها أحياناً. نحن نعرف اليوم أن هذا الاستقرار السعيد، غير المغامر، قاد إلى توطين واستعادة أسماء مبدعة بعينها، عن حق وباطل. أنت لا ترى في أيّ ثقافة، عدا ثقافتنا، هذه الانتقائية الصارمة في خيارات الأسماء المكرّرة (ثلاثة، أربعة، خمسة بأحسن الأحوال، لكل حقبة) في كل مناسبة منذ الخمسينيات حتى يومنا هذا. وإذا ما ذُكرتْ ظواهر أو أسماء أخرى جوارها، فبمثابة كويكبات تدور في مدارات كواكب كبرى برّاقة. وهو أمر غير منطقيّ أبداً في جوهره، لأنه يتهم ضمنياً مجمل الفاعلين الآخرين في حقول الثقافة بالإخصاء الرمزيّ. لهذا السبب، نلتقي بين فترة وأخرى بكتابات تُذكّرنا بالمنسيّ والمجهول والمهمَّش الثقافيّ، شعراً وفناً تشكيلياً، ليعيد إليه بعض حقه المغيَّب، بل الذي طال أمد غيابه.

ونحسب أن الانتقائية والإصرار على تسييج الأجيال الثقافية بمنجزات وأسماء بعينها قاد ويقود، من جهة أخرى، إلى سوء تفاهم مزمن بين المثقفين، خاصة الرافضين لاسترخاء "قوة العادة"، في مواجهة سعادة القبول وتراخي المعايير.

كتبنا قبل أيام جملة مختصرة في أحد وسائط التواصل الاجتماعي تحت عنوان "قارات الثقافة العربية" مفادها "في الثقافة العربية لدينا أكثر من مليون قارة ثقافية، في الأقل": تنبيه مُضْمَر لهذه الاستعادة ثم الاستعادة وإعادة الاستعادة للخبرات الثقافية المستقرّة التي تزعم أنها، رغم ذلك، مارقة عنها. من يمتلك المؤهلات لمروق ظافر مأمول؟ أليس في ذلك زعم متعالٍ على الحقيقية الموضوعية للأشياء، بما في ذلك حقيقة كاتب الجملة؟ أجل، نَعي العقبات، نَصفُ ولا نطلق أحكام قيمة، ولكن هل يتوجب الانحناء الأبديّ للظاهرة؟ اليوم، تبدو الحاجة ماسّة (بعضنا لا يعترف بمفهوم الحاجة) لإجراء مراجعة للخبرات الثقافية المستقرّة. حاجة كان جيلي مثلاً يتلمّسها دون الحصول عليها، كان الجيل التالي يرغب بها، ونعرف اليوم أن الأجيال الراهنة ترغب بها كلّ الرغبة.

ثمة، في ثقافة العرب، خبرة ثقافية تستقرّ على (زمن) قريب أو بعيد بعينه، برهن في لحظة ما على تألق وفاعلية.

مراجعات

الترجمة والأدب المقارن المحاضرة الأولى لنادي الترجمة في اتحاد الأدباء

متابعة المدى

الترجمة وما تُغيره في النص المُتَرجَم، والادب المقارن كان موضوعة طرحه نادي الترجمة في الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق ليحاضر خلالها الدكتور المختص في مجال الأدب المقارن د. صبحي ناصر، وذلك يوم الاربعاء الماضي على قاعة الجواهري...

وقبل أن تبدأ المحاضرة ألقى رئيس نادي الترجمة الكاتب والقاص حسين الجاف كلمته مُعبراً عن سعادته أن يكون د. صبحي ناصر هو أول من يحاضر في أولى محاضرات النادي وقال الجاف "نبدأ فعاليات نادي الترجمة بمحاضرة للدكتور صبحي ناصر، إن أهمية الترجمة جاءت منذ القدم فحيث ما وجد ناسٌ مُتفرقون توجد الترجمة، فما تقوم به بالبدء والمنتهى يعتمد على اللغة."

وتحدث الجاف عن أهم المترجمين العرب وهو المترجم جابر عصفور وقال "ان عصفور من مشاهير المترجمين العرب، حيث يقول إن المترجم الناجح هو من يستطيع أن يصل بالنص المترجم الى ذاته في الأصلي، فجابر عصفور يؤكد أن الترجمة خيانة مشروعة ومبدعة."

أما عن العلائقية بين الترجمة ونقلها لصورة الحضارات الأخرى فيتحدث مقدم الجلسة علوان السلمان قائلاً "إن الترجمة نقل لصورة الحضارة والثقافة والفكر وهي فن مستقل بذاته يعتمد على الابداع والحس اللغوي والقدرة على تقريب الثقافات والتواصل مع ثقافة الآخر، حتى إن الترجمة وصلت في عهد المأمون بان يصل الكتاب المترجم بالعربية بالذهب هي فن وعلم في آن واحد، فهي فن لالتزامها بالابداع وعلم لأنها تحتاج لشروط في علميتها."

وقدم السلمان محاضر اليوم ذاكراً نبذة قصيرة عن تخصصه، فالدكتور صبحي ناصر مختص في مجال الأدب المقارن وهو من مواليد ديالى، بكالوريوس لغة عربية دكتوراه أدب مقارن جامعة لايبزك المانيا.

المحاضر بدأ كلمته مؤكداً إن الترجمة ليست خيانة، وقال " الترجمة لم تُكتب لتكون مجالاً للأدب المقارن أو المجالات النقدية ويفترض أن تكون أدباً خلاقاً، وهي ليست مقياساً موضوعاً بأن نقول عنها خيانة، فحين تكون الترجمة خيانة سيكون الموضوع آخر تماماً."

وأضاف د. صبحي ناصر قائلاً" غوتة الألماني يقول إن الترجمة من أنبل النشاطات الانسانية، فأديب مثل غوتة لا ينطق عن الهوى." مُشيراً "أريد أن أربط موضوع الترجمة بالادب المقارن وسأقدم اضاءات في ذلك من ضروب الأدب المقارن الذي بدى أساساً كما يشاع في فرنسا وقد كانت رائدة في الأدب المقارن."

وبعد فرنسا ظهرت مدرسة الترجمة السوفيتية يذكر المحاضر " خلال المدة الطويلة التي درست فيها المادة في كتاب مدرسة الأدب المقارن وجدت إن أنسب تسمية للادب المقارن هي المدرسة الاشتراكية في الأدب المقارن ذلك أن لكل مدرسة قواعدها وقواعد الفرنسيين حول النص المقارن كانت صارمة حقاً وقيل إذا وجد اكثر من نصين متشابهين يجب أن يكون لأمتين مختلفتين وفي لغتين مختلفتين والأهم أن يوجد الباحث الأثر السابق واللاحق لهذا النص."

الترجمة العشوائية للنص هي ترجمة غير كفوءة فعلى المترجم وكما أكد ناصر أن " يُهيئ القارئ لاستقبال النص والتماهي فيه، لأن النص الابداعي يصل للمتلقي البسيط بشكل مختلف تماماً عمّا يصله الى المتلقي المتخصص كالشاعر أو القاص أو الأديب."

جولي أوتسوكا تحكي قصة خدعة جماعية

ترجمة: عدوية الهلالي

رواية جديدة للكاتبة اليابانية المتألقة جولي أوتسوكا بعنوان (البعض لم يشاهدوا البحر أبداً) تصف فيها المصير الضائع لآلاف من الشباب الياباني المهاجر الى الولايات المتحدة في فترة مابين الحربين ...

واذا لم ير الكثير من الشباب الياباني البحر أبداً كما يشير الى ذلك عنوان رواية اوتسوكا فلأن البعض كان لديهم سبب جيد لعبوره إذ يوجد زوج على الجانب الآخر منه ...

في تلك الفترة ، كانت آلاف الشابات اليابانيات ينفين انفسهن إجبارياً الى الولايات المتحدة حيث يوجد الآف من المهاجرين من الشباب الياباني ولذا يمكن أن تحصل تلك الفتيات على أزواج من مواطنيهن بعد مشاهدة صورهم لدى (وسطاء الزواج) ...

منذ سطوره الاولى ، يجتذب هذا الكتاب قرّاءه لأنه يروي قصة خدعة جماعية ...تقول إحدى الفتيات اليابانيات (على الباخرة ، كنا جميعاً تقريباً عذراوات) وتؤكد هذه الجملة المرور العسير والمرعب في طريق البحث عن الزوج ..

وفي الفصل الثاني ، تصف الكاتبة ليالي الزفاف مع أشخاص مجهولين أغلبهم من الفقراء الصعاليك الذين يعملون في حقول أرياف كاليفورنيا أو في محلات غسل الملابس في مدن الساحل الغربي ..

وتكون اولئك الفتيات مدربات على فن تقديم الشاي وطي الكيمونو (الزي النسائي الفولكلوري في اليابان) بأدب وتهذيب مفرطين ليصبحن بالتالي خادمات في المنازل الامريكية أو ربات بيوت متواضعات ..

ولم تعمل الروائية على سرد قصة فتاة بعينها بل عملت على سرد قصتهن بشكل جماعي مستخدمة التفاصيل الكاملة حتى ماكان منها بلا قيمة وأحيانا بشكل رمزي لتقدم من خلالها ملحمة انسانية مذهلة ...كما لجأت الكاتبة أوتسوكا الى استخدام ضمير (نحن) بدلاً من (أنا) بالنسبة للراوي وبدون تفخيم أو مبالغة لأنها تفضل أن تروي الأسوأ وكأنه أحسن شيء حصل للفتيات لتخفيف جرعة المعاناة وللتركيز على قضية الحنين الى الوطن ..

وتصف الكاتبة ماينتظر العرائس اليابانيات من حياة قد يكون فيها زوج يستخدم العنف والوحشية أو الحنان والرقة مع التركيز على نوع العمل الذي يمارسه سواءً كان في الحقول أو في غسل البياضات الملوثة ومايترتب على ذلك من نظرة استعلائية من قبل البيض للكبار ونظرة مليئة بالشفقة أحيانا لأطفالهم الذين يلحقون بآبائهم وأمهاتهم ليمارسوا أعمالهم أو يتمسكوا بأذيال أمهاتهم طالبين منهن طعاماً وعناية بهم ..

وعندما تعلن اليابان الحرب على الولايات المتحدة ، ستحل فترة النفي الثاني حيث يتم احتجاز المهاجرين اليابانيين في معسكرات ويمكن اعتبار الصفحات التي تصف هذه الهجرة من أجمل صفحات الكتاب فالامريكان سيجبروهم في النهاية على الهجرة من الولايات المتحدة لأن بقاءهم يعني إثارة القلق وتعزيز الحقد بينما رحيلهم سيؤدي تدريجياً الى نسيان وجوههم ثم اسمائهم وينتهي وجود المهاجرين اليابانيين في امريكا تدريجياً ليلتقطوا خيط حياتهم الجديدة في اليابان ..

وتنهي الروائية الامريكية من أصل ياباني جولي أوتسوكا كتابها الرائع بسردها كل شيء عن موضوع مازال الحديث عنه محظوراً في اليابان إذ حررت من خلاله أصواتاً ظلت مكممة زمناً طويلاً ...